

قيام الليل

عناصر الخطبة:

١- فضل قيام الليل

٢- آداب قيام الليل

٣- الأسباب المعينة على قيام الليل

مقدمة: لله درُّ أقوامٍ اجتهدوا في الطاعة، وتاجروا مع ربِّهم فربحت البضاعة، وبقي الثناء عليهم إلى قيام الساعة، لو رأيتهم في الظلام وقد لاح نورهم، وفي مناجاة الملك العلام وقد تمَّ سرورهم، فإذا تذكروا ذنباً قد مضى ضاقت صدورهم، وتقطعت قلوبهم أسفاً على ما حملت ظهورهم، وبعثوا رسالة الندم والدمع سطورهم. غسلوا وجوههم بدموع الأحزان، وأحيوا ليلهم بالذكر وتلاوة القرآن، ونصبوا أقدامهم في خدمة الملك الديان، فكلُّ زمانهم رمضان، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، عساهم أن يدخلوا الجنة بسلام. (١٦)

فضل قيام الليل:

المحافظون على قيام الليل محسنون مستحقون لرحمة الله وجزائه:

قال تعالى {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الذاريات:

[١٥ - ١٨]

قال الطبري: كانوا قليلاً من الليل هُجوعُهُمْ، لأنَّ الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم، وأنتى عانيهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يُقربهم منه ويرضيه عنهم. (٢٧)

- مدح الله أهل قيام الليل في جملة عباده الأبرار، عباد الرحمن:

قال تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا } [الفرقان: ٦٣، ٦٤]

قال ابن رجب -رحمه الله- : ينتصبون لله على أقدامهم، ويفترشون وجوههم لربهم سجداً، تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم لأمر ما، أسهروا له ليلهم، ولأمر ما خضعوا له نهارهم. (٢٧)

- قيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ)) (٢٤)

قال زين الدين المناوي -رحمه الله- : فالصلاة بالليل أفضل منها في النهار، لأن الخشوع فيه أوفر لاجتماع القلب والخلو بالرب {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً} [المزمل: ٦] ولأن الليل وقت السكون والراحة فإذا صُرف إلى العبادة، كانت على النفس أشدَّ وأشقَّ، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله. (٢٥)

- شهد الله لأهل الليل بالإيمان الكامل، ووعدهم بالجزاء العظيم

قال سبحانه: { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٥ - ١٧]

قال ابن كثير: فلا يعلم أحدٌ عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحدٌ، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقاً؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل.

- نفى الله التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم

قال تعالى {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَهْوَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُقُوفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَرَهُ اللَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ. [٢٦]

- شرف المؤمن في قيام الليل:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: ((يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ)) ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ)) [٢٧]

- قيام الليل يُعْبِطُ عَلَيْهِ صَاحِبِهِ:

فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ)) [٢٨]

- قيام الليل غنيمة عظيمة: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ قَامَ بَعْشَرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْتَدِرِينَ)) [٢٩]

- من أعظم أسباب دخول الجنة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنَتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامًا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) (٢١٠٦)

- قيام الليل من أسباب رفع الدرجات في غرف الجنة:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنْ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةٌ يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَالْآنَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامًا)) (٢١١٦)

قيام الليل يدفع العذاب، ويوصف صاحبه بنعم الرجل:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصَاهَا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَرَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ

الْبُئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبُئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتَهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَخَّ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّصْتُهَا حَفْصَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)) قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. (٢١٢)

قال ابن حجر -رحمه الله-: مُقْتَضَاهُ أَنَّ مَنْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ يُوصَفُ بِكَوْنِهِ نِعْمَ الرَّجُلُ. (٢١٣)

قال ابن حجر -رحمه الله-: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ يَدْفَعُ الْعَذَابَ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ -رحمه الله-: إِنَّمَا فَسَّرَ الشَّارِعُ مِنْ رُؤْيَا عَبْدِ اللَّهِ مَا هُوَ مَمْدُوحٌ لِأَنَّهُ عَرِضَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ عُوْفِيَ مِنْهَا وَقِيلَ لَهُ لَا رَوْعَ عَلَيْكَ وَذَلِكَ لِصَلَاةِ غَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمُ مِنَ اللَّيْلِ فَحَصَلَ لِعَبْدِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ مِمَّا يَنْتَفِي بِهِ النَّارَ وَالذُّنُوبَ مِنْهَا فَلِذَلِكَ لَمْ يَنْتَرْكُ قِيَامَ اللَّيْلِ بَعْدَ ذَلِكَ. (٢١٤)

من أسباب النجاة من الفتن، والسلامة من دخول النار: فعن أم سلمة -رضي الله عنها-، قَالَتْ: اسْتَنْبَقَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحَجْرِ - يُرِيدُ بِهِ أَرْوَاجَهُ حَتَّى يُصَلِّينَ - رَبًّا كَاسِيَةً فِي الدُّنْيَا عَارِيَةً فِي الْآخِرَةِ)) (٢١٥)

- القائم يكتب من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ وَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)) (١٦٦)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهُ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتِ)) (١٧٧)

- أَوْقُرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ: فَعَنْ عَمْرُو بْنِ عَبَسَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: ((أَوْقُرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ)) (١٨٧)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-،: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ)) (١٩٧)

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ)) (٢٢٠)

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قَبْلَتْ صَلَاتُهُ)) (٢٢١)

- قيام الليل مكفر للسيئات ومنهاة للآثام، ومن سمات الصالحين، في كل زمان ومكان.

عَنْ بَلَالِ بْنِ رِبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِّلْسَيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ)). (٢٢٢)

آداب قيام الليل:

- ينوي عند نومه قيام الليل وينوي التقوي على الطاعة ليحصل على الثواب على نومه؛ بنومه

لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَا مِنْ أَمْرٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بَلِيلٌ فَعَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ)) (٢٣١)

ولحديث عن أبي الدرداء -رضي الله عنه-، يبلغ به النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: ((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل)) (٢٤٦)

وقال معاذ بن جبل لأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- : كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائماً وقاعداً وعلى راحتي، قال: أمّا أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. (٢٥١)

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب لأن الراحة إذا فُصِدَ بها الأمانة على العبادة حصلت الثواب. (٢٦١)

- يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ، ويذكر الله، ويشوص فاه بالسواك:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- : استيقظ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجعل يمسح النوم عن وجهه بيديه ((٢٧٧))

وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته)) (٢٨١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عَقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ)) (٢٢٩)

وَعَنْ حَدِيثَةٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسَّوَاكِ. (٢٣٠)

- يبدأ قيامه بركعتين خفيفتين: فعن أبي هريرة - رضى الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلْيَفْتَحْ صَلَاتَهُ بِرِكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)) (٢٣١)

- يستحب له أن يفتح صلاته بهذا الدعاء: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: سألت عائشة أم المؤمنين، بأي شيء كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: ((اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (٢٣٢)

- يستحب أن تكون قراءته بين الجهر والإخفات:

قال تعالى {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠]

وَالْمُخَافَتَةُ: الْإِسْرَارُ، قِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تُخَافِتُ مُخَافَتَةً لَا يَسْمَعُهَا مَنْ يُصَلِّي خَلْفَهُ، وَالْخُفُوتُ: خَفِضُ الصَّوْتِ. (٣٣١)

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَرَجَ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يُصَلِّي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، قَالَ: وَمَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ))، قَالَ: قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَقَالَ لِعُمَرَ: ((مَرَرْتُ بِكَ، وَأَنْتَ تُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَكَ))، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْقِظْ الْوَسْطَانَ، وَأَطْرُدْ الشَّيْطَانَ - زَادَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ: - فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا))، وَقَالَ لِعُمَرَ: ((اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا)). (٣٤١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِاللَّيْلِ؟ أَكَانَ يُسِرُّ بِالْقِرَاءَةِ أَمْ يَجْهَرُ؟ فَقَالَتْ: ((كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا أَسْرَرَ بِالْقِرَاءَةِ، وَرُبَّمَا جَهَرَ))، فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً. (٣٥١)

- أن تكون صلاته مثنى مثنى:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-،: أَنَّ رَجُلًا، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: كَيْفَ صَلَاةُ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ: ((مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ، تُوتِرُ لَكَ

مَا قَدْ صَلَّيْتُ)) (٣٦٦) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ((كُلَّ اللَّيْلِ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله

عليه وسلم-، وَأَنْتَهَى وَتَرَهُ إِلَى السَّحَرِ)) (٣٦٧)

- أفضل القيام: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-،: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى

الله عليه وسلم- قَالَ لَهُ: ((أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ

صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا)) (٣٨٨)

- أفضل الأوقات: عنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-،

كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- بِاللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ وَيَقُومُ آخِرَهُ، فَيُصَلِّي،

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَتَبَّ، فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ، اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ. (٣٩٦)

- ويسنُّ له تطويل صلاة الليل: عنِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-،: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ

-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: مَا

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً

يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ

يُصَلِّي ثَلَاثًا. (٤٠١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرٍ سَوْءٍ، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . [٤١]

وَعَنْ حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبُقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رُكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ))، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ))، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى))، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. [٤٢]

- يترك الصلاة إذا غلبه النعاس: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَا

يَذْرِي لَعْلَهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ)) [٤٣]

- ليس للقيام عددٌ مخصوص: فعن ابنِ عمرٍ -رضي الله عنهما-،: أن رجلاً، جاء إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وهو يخطب، فقال: كيف صلاة الليل؟ فقال: ((مثنى مثنى، فإذا خشيت الصُّبحَ فأوترِ بواحدة، توترُ لك ما قد صلَّيت)) ([٤٤])

قال ابن تيمية -رحمه الله-: وَمَنْ ظَنَّ أَنْ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُوقَّتٌ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- لَمْ يَزَادْ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ. ([٤٥])

* ولكن الأفضل أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة؛ أو ثلاث عشرة ركعة، لفعل النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة -رضي الله عنها-، كيف كانت صلاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في رمضان؟ فقالت: ((ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا)) ([٤٦]) و عن عائشة -رضي الله عنها-، قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ، لَمْ يَجْلِسْ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهَا)). ([٤٧])

- المداومة على قيام الليل وعدم قطعه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-، قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ)) ([٤٨])

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: ((مَنْ هَذِهِ؟)) قُلْتُ: فُلَانَةٌ لَا تَتَّامُ بِاللَّيْلِ، فَذَكَرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: ((مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)) (٤٩٧)

الأسباب المعينة على قيام الليل:

إن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً، وقيام الليل له أسبابٌ تعين عليه؛ فمن أراد أن يقوم فلا بد أن يأخذ بالأسباب التي تعينه وتمكّنه من القيام بعون الله. قال الغزالي -رحمه الله- : اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً. (٤٩٧)

- الإخلاص: فالإخلاص أساس كل الأعمال كما قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥] وهو أيضاً الدافع لكل خيرٍ

قال ابن القيم -رحمه الله- : على قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته يكون التوفيق من الله سبحانه وإعانتة، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر همهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين، يضع التوفيق في مواضعه اللاتقة به، والخذلان في مواضعه اللاتقة به وهو العليم الحكيم. (٥١٧)

ولذا حرص السلف الكرام أشد الحرص على إخفاء الطاعات كقيام الليل، فعن محمد بن واسع، قال: لَقَدْ أَدْرَكْتُ رِجَالًا، كَانَ الرَّجُلُ يُكُونُ رَأْسُهُ وَرَأْسُ امْرَأَتِهِ عَلَى وَسَادٍ وَاحِدٍ، قَدْ بَلَ مَا تَحْتَ

خَدَهُ مِنْ دُمُوعِهِ، لَأَ تَشْعُرُ بِهِ امْرَأَتُهُ. وَلَقَدْ أَدْرَكْتَ رِجَالًا، كَانَ أَحَدُهُمْ يَقُومُ فِي الصَّفِّ فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ، لَأَ يَشْعُرُ بِهِ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ. (٢٥٧)

- حُبُّ اللَّهِ وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ وَهُوَ أَشْرَفُ الْبِوَاعِثِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ: فيشعر المؤمن بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه. . . فإذا أحبب الله تعالى أحببنا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَرِحْتُ بِالظَّلَامِ لِخَلْوَتِي بِرَبِّي وَإِذَا طَلَعَتْ حَزِنْتُ لِدُخُولِ النَّاسِ عَلَيَّ.

وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ: أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْ لَأَ الْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَذَّةُ الْمُنَاجَاةِ لَيْسَتْ مِنَ الدُّنْيَا إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْجَنَّةِ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ لَأَ يَجِدُهَا سِوَاهُمْ.

- معرفة فضل قيام الليل: وقد مرَّ بيان ذلك

- ومن الأسباب قصر الأمل وتذكر الموت وأحوال الآخرة:

فإنه يدفع على العمل ويذهب الكسل لحديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: ((إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)) (٢٥٣)

فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس: إن ذكر جهنم طير نوم العابدين. (٢٥٤)

وقال المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء، ثم قام إلى مصلاه، فقبض على لحيته، فخنقته العبرة فجعل يقول: حرّم شبيبة مالك على النار! إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأبي الرجلين مالك وأبي الدارين دار مالك، فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر. (٢٥٥)

- ومن الأسباب أن يترك الذنوب صغيرها وكبيرها:

فإن الذنوب من أعظم يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟! فقال: ذنوبك قيدتك.

وقال سفيان الثوري -رحمه الله- : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته! قيل: وما ذلك

الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا مراء!

- النظر في هدي نبينا -صلى الله عليه وسلم- وسير السلف، وهم القدوة في ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: ((يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)) (٥٦)

وقال عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه-:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ. . . إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقَلُّوبُنَا. . . بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ. . . إِذَا اسْتَنْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ ". (٥٧)

* عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّ عُمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ أَوْتَرَ بِهَا.

* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْرِينَ -رَحِمَهُ اللهُ- ، قَالَ: قَالَتْ امْرَأَةٌ عُمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حِينَ قُتِلَ: لَقَدْ قَتَلْتُمُوهُ، وَإِنَّهُ لِيُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ بِالْقُرْآنِ فِي رَكْعَةٍ. (٥٨)

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: تَضَيَّقْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، سَبْعًا، فَكَانَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ يَعْتَقِبُونَ اللَّيْلَ أَثَلَاثًا: يُصَلِّي هَذَا، ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا. (٥٩)

وعن المرؤذي قال: كنت مع أبي عبد الله أحمد بن حنبل، نحوًا عن أربعة أشهر بالعسكر، فكان لا يدع قيام الليل وقراءة النهار فما علمت بختمتها وكان يسر ذلك. (٢١٠)

وكان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية. وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال. (٢١١)

وورد عن كثير من السلف الصالح رحمهم الله تعالى أنهم كانوا يصلون الفجر بوضوء العشاء.

قال الغزالي -رحمه الله- : وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الليل وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار وفي وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة. (٢١٢)

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- بعد ما ذكر جملة من الأعمال الشاقة التي نقلت عن السلف مما يستكره بعض المعاصرين: سائر ما ذكر عن الأولين من الأعمال الشاقة التي لا يطيقها إلا الأفراد؛ هيأهم الله لها وهيأها لهم وحببها إليهم، ولم يكونوا بذلك مخالفين للسنة بل كانوا معدودين في

السَّابِقِينَ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا نُهِيَ عَنِ الْعَمَلِ الشَّاقِّ مَقْوَدَةٌ فِي حَقِّهِمْ، فَلَمْ يُنْتَهَظِ النَّهْيُ فِي حَقِّهِمْ. (١٦٣)

- العناية بجملته الأسباب التي تعين على قيام الليل منها:

- أَنْ لَا يَكْثُرَ الْأَكْلَ فَيَكْثُرَ الشُّرْبُ فَيَعْلِبُهُ النَّوْمُ وَيَثْقُلَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ.

- أَنْ لَا يَتْرَكَ الْقِيْلُولَةَ بِالنَّهَارِ فَإِنَّهَا سُنَّةٌ لِلِاسْتِعَانَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ.

- الحرص على النوم مبكراً؛ ليأخذ قوة ونشاطاً يستعين بذلك على قيام الليل وصلاة الفجر.

- الحرص على آداب النوم

- سلامة القلب للمسلمين، وطهارته من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

- عواقب ترك صلاة الليل:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ

نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: ((ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ))، أَوْ قَالَ: ((فِي أُذُنَيْهِ))

فِي هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَحْمَدَ قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ بَوْلَهُ وَاللَّهُ لَتَقِيلُ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: حَسَبُ الرَّجُلِ مِنَ الْخَبِيَةِ، أَوْ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَنَامَ لَيْلَةً حَتَّى يُصْبِحَ وَقَدْ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ لَيْلَةً حَتَّى يُصْبِحَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يَنَامُ الرَّجُلُ لَيْلَةً إِلَّا إِلَى الصَّبَاحِ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ. (٢٤٦)

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : واختلف في بول الشيطان فقيل هو على حقيقته، قال القرطبي وغيره: لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول. وقيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر. وقيل: معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالباطيل فحجب سمعه عن الذكر. وقيل: هو كناية عن ازدراء الشيطان به. وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بتقل النوم كمن وقع البول في أذنه فتقل أذنه وأفسد حسه. . . . وقال الطيبي: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى تقل النوم فإن المسامح هي موارد الانتباه وخص البول لأنه أسهل مدخلا في التجاوب وأسرع نفوذا في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء. (٢٥٠)

وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ)) (٢٦٦)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ وَتَرٍ أَصْبَحَ عَلَى رَأْسِهِ جَرِيرٌ قَدْرَ سَبْعِينَ ذِرَاعًا. [٦٧]

والحمد لله رب العالمين

[١] مواعظ ابن الجوزي (ص: ٦٩)

[٢] تفسير الطبري (٥٠٩ / ٢١)

[٣] تفسير ابن رجب الحنبلي (١٨ / ٢)

[٤] رواه مسلم (١١٦٣)

[٥] فيض القدير (٤١ / ٢)

[٦] تفسير القرطبي (٢٣٩ / ١٥)

[٧] رواه الحاكم (٣٦٠ / ٤) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠١ / ١)

[٨] رواه البخاري (٧٥٢٩) ومسلم (٦١٥)

[٩] رواه أبو داود (١٣٩٨) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٧٧ / ١)

[١٠] رواه الترمذي (٢٤٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨ / ٢)

[١١] رواه أحمد (٣٤٣ / ٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٦ / ١)

[١٢] رواه البخاري (١١٢١) ومسلم (٢٤٧٩)

[١٣] فتح الباري (٦ / ٣)

[١٤] فتح الباري لابن حجر (٧ / ٣)

[١٥] رواه البخاري (٦٢١٨)

[١٦] رواه أبو داود (١٤٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٧ / ١)

[١٧] رواه أبو داود (١٤٥١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢ / ١)

[١٨] رواه الترمذي (٣٥٧٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩ / ١)

[١٩] رواه البخاري (٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨)

[٢٠] رواه مسلم (٧٥٧)

[٢١] رواه البخاري (١١٥٤)

[٢٢] رواه الترمذي (٣٥٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٢ / ٢)

[٢٣] رواه النسائي (١٧٨٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٢٨ / ٤)

[٢٤] رواه النسائي (١٧٨٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦ / ١)

[٢٥] رواه البخاري (٤٣٤٤)

[٢٦] فتح الباري لابن حجر (٦٢ / ٨)

[٢٧] رواه البخاري (٤٥٧١)

[٢٨] رواه البخاري (١١٥٤)

[٢٩] رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦)

[٣٠] رواه البخاري (١١٣٦)

[٣١] رواه مسلم (٧٦٨)

[٣٢] رواه مسلم (٧٧٠)، وقد ورد غيره أيضاً

[٣٣] شرح السنة للبيهقي (٢٨ / ٤)

[٣٤] رواه أبو داود (١٣٢٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٧٧ / ١)

[٣٥] رواه الترمذي (٤٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٤٤٩ / ١)

[٣٦] رواه البخاري (٤٧٣)

[٣٧] رواه البخاري (٩٩٦)

[٣٨] رواه البخاري (١١٣١)

[٣٩] رواه البخاري (١١٤٦)

[٤٠] رواه البخاري (١١٤٧) ومسلم (٧٣٨)

[٤١] رواه البخاري (١١٣٥)

[٤٢] رواه مسلم (٧٧٢)

[٤٣] رواه مسلم (٧٨٦)

[٤٤] رواه البخاري (٤٧٣)

[٤٥] مجموع الفتاوى (٢٧٢ / ٢٢)

[٤٦] رواه البخاري (٢٠١٣)

[٤٧] رواه مسلم (٧٣٧)

[٤٨] رواه البخاري (١١٥٢)

[٤٩] رواه البخاري (١١٥١)

[٥٠] إحياء علوم الدين (٣٥٦ / ١)

- [٥١] الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)
- [٥٢] الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ١٣٥)
- [٥٣] رواه البخاري (٦٤١٦)
- [٥٤] إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٧)
- [٥٥] إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٥)
- [٥٦] رواه البخاري (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠)
- [٥٧] صحيح البخاري (٢/ ٥٥)
- [٥٨] مختصر قيام الليل (ص: ١٥١)
- [٥٩] رواه البخاري (٥٤٤١)
- [٦٠] الآداب الشرعية (٢/ ٢٩٧)
- [٦١] تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٤٦)
- [٦٢] إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٩)
- [٦٣] الموافقات (٢/ ٢٤٤)
- [٦٤] مختصر قيام الليل (ص: ١٠٣)
- [٦٥] فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٨)
- [٦٦] رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦)
- [٦٧] مختصر قيام الليل (ص: ١٠٣)